وليس من شك فى أن «شوقى» كان له الحق فى أن يفضل هذه الأسطورة على التاريخ الواقعى . . . إذ رأى أنها أكثر مواتاة لفنه ، وأوفر حظًا فى خدمة الهدف الذى رمى إليه من تمجيد روح الفداء والتضحية الوطنية فى شخصية «نيتيتاس» التى قدمت نفسها قربانًا على مذبح الوطن .

وإذا صح هذا لا يكون هناك محل لأن يشدد العقاد فى كتابه «قمبيز فى الميزان» النكير على شوقى باسم التاريخ ، مادام شوقى نفسه قد آثر لفنه أن يخرج من مجال التاريخ إلى مجال الأسطورة . . ومع ذلك فإن الحملة العنيفة التى شنها العقاد على مسرحية شوقى باسم التاريخ ، إذا كان لبعض تفصيلاتها شىء من الوجاهة ، فإن البعض الآخر لا يخلو من تعسف لا محل له .

فالأستاذ العقاد قد يكون محقًا عندما يأخذ على شوقى أنه لم يستخدم بعض الحقائق التاريخية الثابتة التى لا تتنافى مع هدفه الوطنى ، والتى تفسر إطباق الجنون على «قمبيز» مثل الهزائم الشديدة والخسائر الفادحة التى لقيتها جيوش الفرس فى بلاد النوبة وفى الصحراء الغربية .

وعلى العكس من ذلك يظهر تعسف العقاد عندما يأخذ على شوقى أنه لم يستخدم فى مسرحيته أسماء تاريخية لامعة كانت لها بعض الصلات بمصر أو فارس فى تلك الفترة . مثل المشرع اليونانى الشهير «صولون» أو «قارون» ملك «ليديا» الذى لا يزال يضرب به المثل الشعبى فى وفرة الثراء . ويزيد هذا التعسف وضوحًا عندما نلاحظ أن العقاد لم يوضح لنا على أى نحو كان يريد أن يدخل شوقى هاتين الشخصيتين أو غيرهما فى